المعنى البلاغي للعدد في الحديث النبويّ

قرائِنه ودلالاته

الدكتورة منى العسة

قسم علوم القرآن والحديث

كلية الشريعة

جامعة دمشق

الملخص

حاولَ هذا البحثُ من خلال استقراء بعضِ النّصوص النّبويّة التي ورد فيها ذكرُ الأعــداد، واســتقراءِ شروحها، وتحليلِ كلام العلماء فيها، حاول جمعَ القرائنِ التي ذكرَها العلماءُ في ترجيحِ حملِ المعنــى المرادِ من العدد في النص النبوي على معناه المجازيِّ البلاغيِّ دون المعنى الحقيقي الحــصريّ، ثــم تطرقَ البحثُ إلى الدلالاتِ البلاغيةِ التي استُعملَ العدد من أجلِها في تلك النــصوص، وذلــك بهــدف الوصولِ إلى فهمٍ أقربَ وأرجحَ للنصِّ النبوي.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هديه إلى يوم الدين. أمَّا بعدُ:

ضمّتْ نصوصُ الحديثِ النبويِّ الشريفِ أعداداً متنوعةً وظَّفها البيانُ النبوي وظائفَ متعدّدة، وقد تنوع استعمال هذه الأعداد بين استعمالٍ حقيقيّ يراد به المعنى الظاهريّ الرقميّ للعددِ، وبين استعمالٍ بلاغي مجازيّ لا يُراد به هذا المعنى الظاهري إنما معنىً آخر قُصد من ورائه.

وقد وجدت في اختلاف العلماء في حمل المعنى المراد من الأعداد الواقعة في بعض النصوص النبوية على المعنى الحقيقي أو البلاغي دافعاً لهذا البحث، فحاولت من خلال استقراءِ بعضِ النصوص النبويّة وشرح العلماء لها ثم تحليلها بيانَ القرائن التي استدلَّ بها العلماء في ترجيح حمل العدد على معناه البلاغيّ دون الحقيقيّ، ثم حاولت بيانَ الوجوه البلاغيّة التي استُعملَ العدد من أجلها. ولا يخفى ما لهذا من أهميّة بالغة يتوقَّفُ عليه فهم النص النبويِّ فهماً صحيحاً، وإزالةُ ما قد يُشكل فيه.

هذا ولن يخوض البحثُ في الدلالةِ الحقيقةِ الرقميّة للعدد، ولا في مفهومِ العددِ وخلاف العلماء في حجِّيته إذ إنّ الكلام فيهما يطول، وقد نبّه العلماء أنّ الخلاف الواقعَ في حجِّيّة مفهوم العدد إنّما هو في العدد الحقيقي المرادِ به الحصرُ لا التكثيرُ أو غيرُه من وجوه البلاغة[1]، والذي يعنينا في هذا البحث إنَّما هو الدلالة البلاغية فقط.

وقد حاولت جاهدة البحث في كتب البلاغيين وغيرِهم ممّن عنى بالنص النبويّ أو حتى القرآنيّ عن تأصيلٍ لهذا الموضوع أو ما يرشدُ إليه فلم أهتدِ لذلك. أسألُ الله تعالى أن يكون هذا البحث فاتحةَ خيرٍ للخوضِ في هذا الموضوع والتعمّق فيه من قِبَل الباحثين في المستقبل.

هذا وقد جاء البحث وفق الخطة الآتية:

مقدمة: تتضمن أهمية البحث، وسبب اختياره، ومنهجه وخطَّته.

المبحث الأول: قرائنُ إرادةِ المعنى البلاغيّ للعدد:

المطلب الأول: استعمال الأعداد المعهودة في المبالغة عند العرب.

(1) انظر: البحر المحيط للزركشي 172/5.

المطلب الثاني: السياق والمقام.

المطلب الثالث: إبهام آحاد العدد.

المطلب الرابع: اختلاف الأحاديث أو الروايات في تعيين العدد.

المطلب الخامس: مخالفة العدد المذكور لواقع الحال.

المبحث الثاني: الدلالات البلاغية للعدد:

المطلب الأول: التكثير.

المطلب الثاني: التقليل.

خاتمة: نتائج البحث.

المبحث الأول: قرائن إرادة المعنى البلاغي للعدد:

تمهيد:

من المقرَّرِ عندَ العلماء أن الأصل في الكلام حملُه على معناه الحقيقيِّ الظاهري إلى أن تأتي قرينةٌ تصرفُه عن ذلك، وهذه القاعدةُ يدخل ضمنَها العددُ؛ إذ الأصل أن يُحملَ على دلالتِه الرقميَّة العدديّة الحصريّة إلى أن تأتي القرينةُ الصارفة عن ذلك.

وهذا ما نصَّ عليه العلماء؛ يقول الحافظُ ابنُ حجر (ت:852هـ) في قولِ النبيِّ ﷺ: { إنّما خيّرني الله، فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:80] وسأزيدُ على السبعين} [1]: "وكونُ ذلك وقعَ من النبيِّ ﷺ متمسكاً بالظاهر على ما هو المشروعُ في الأحكامِ إلى أن يقومَ الدليلُ الصارف عن ذلك لا إشكال فيه"[2].

(1) أخرجه البخاري في تفسير القرآن/ باب قوله {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم}/ رقم (4393)، ومسلم في فضائل الصحابة/ باب من فضائل عمر ﷺ/ رقم (2400).

(2) فتح الباري 339/8.

وفي شرح حديث { كتب الله مقاديرَ الخلقِ قبلَ أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنة }[1] قال الإمامُ العراقيّ (ت:806هـ):"ولا يقوم على التكثيرِ دليلٌ، والظاهرُ أنَّ المرادَ التحديدُ، وقال أبو العباس القرطبيّ[2] إنَّه أظهر وأولى"[3].

ويقول الإمام الآلوسي (ت:1270هـ): "جاء في الأخبار الصحيحة أنَّ ارتفاعَ السماءِ الدنيا عن الأرضِ خمسمائة عامٍ، وارتفاعَ كلِّ سماءٍ عن سماءٍ، وثخنَ كلٍّ كذلك. والظاهرُ تقديرُ ذلك بالسيرِ المتعَارفِ، وأنّ المراد بالعدد المذكور التحديدُ دونَ التكثير، ونحن مع الظاهرِ إلا أن يمنعَ عنه مانع"[4].

فما القرائنُ التي يمكنُ من خلالِها صرفُ العددِ عن معناه الحقيقيّ الظاهريّ إلى معناه البلاغيّ المجازيّ؟

من خلالِ استقراءِ عددٍ من النصوصِ النبويَّة وتعليقاتِ العلماءِ عليها وجدتُ أنَّ هناك عدداً من القرائن التي استدلَّ بها العلماءُ على إرادةِ المعنى البلاغي للعدد دون المعنى الحقيقي، مع التنبيهِ على إمكانيةِ اجتماعِ أكثرَ من قرينة في النصِّ الواحد. وقد عرضتُ هذه القرائنَ مع التمثيلِ عليها من النصوصِ النبويَّة من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: استعمال الأعداد المعهودة في المبالغة عند العرب:

تعارفتِ العربُ على استعمالِ أعدادٍ مخصوصة أرادوا بها التكثيرَ أو التعظيمَ أو غيرَها من وجوه البلاغةِ دونَ إرادةِ معناها الحقيقيِّ الحصريِّ، وأكثرُ هذه الأعدادِ استعمالاً في ذلك السبعةُ ومشتقَّاتُها.

قال أبو حيَّان (ت:745هـ): "السبعةُ، والسبعون فيه دلالةٌ على تضاعيفِ القوّةِ والشدَّةِ كأنه ضوعف سبعَ مرّات. ومن شأنِ العربِ أن يبالغوا بالسبعةِ والسبعينَ من العدد لما في ذكرِها من معنى المضاعفة"[5].

(1) أخرجه مسلم في القدر/ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام/ رقم (2653).
(2) في كتابه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم 669/6.
(3) طرح التثريب 250/8.
(4) روح المعاني 232/15.
(5) البحر المحيط 219/1.

وقال ابنُ الأثير (ت:606هـ): "وقد تكرَّرَ ذكرُ السبعين، والسبعة، والسبعمائة في القرآنِ والحديث، والعرب تضعُها موضعَ التضعيفِ والتكثير"[1].

وقال الحافظُ ابنُ حجر: "ولفظُ السبعةِ يطلقُ على إرادةِ الكثرةِ في الآحاد، كما يطلق السبعين في العشرات، والسبعمائة في المئين ولا يُراد العددُ المعيّن"[2].

وهذا متَّفقٌ عليه في استعمال السبعةِ ومشتقّاتها في المبالغةِ على ما عُهِدَ من لسان العرب، أمَّا ما سواها من الأعداد فقد وقع الخلاف فيها، ومن ذلك المئة:

ذكر القرطبي في شرح حديث { جعل الله الرحمة مائةَ جزء }[3] عن بعضِ الشراح أنَّ هذا العددَ الخاصَّ أُطلق لإرادةِ التكثيرِ والمبالغةِ فيه، وتعقَّبه بأنّه لم تجرِ عادة العرب بذلك في المئة[4].

والخمسة:

قال الإمام المُلّا علي القاريّ (ت:1014هـ) في شرح حديث ((لو أمسك الله عزّ وجلّ المطر عن عباده خمسَ سنين....))[5]: "خمس سنين: أي مثلاً، أو المراد مدَّة تُورِث الإقناطَ عن إنزالِ الغيث، وأمّا قول الطّيبيّ: لم يُرَد به التحديدُ، بل طولُ الزمان[6]، ففيه بُعدٌ؛ لأن عددَ الخمسِ ليس متعارفاً في التّكثير"[7].

والتسعة ومشتقاتها:

قال الإمامُ المناويّ (ت:1031هـ) في شرح حديث { لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله دواء من تسعة وتسعين داءً أيسرُها الهمّ } [8]: "التقييدُ بالعدد موكولٌ إلى علمِ الشارعِ، ويحتملُ أنَّ المرادَ التكثيرُ، لكنَّه يبعدُه أنَّه لم يُعهَدْ إلا في السبعينَ ونحوِها"[9].

---

(1) النهاية في غريب الحديث (سبع) 842/2.

(2) فتح الباري 23/9.

(3) أخرجه البخاري في الأدب/ باب جعل الله الرحمة مائة جزء،/ رقم (5654)، ومسلم في التوبة/ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه/ رقم (2752).

(4) المفهم 83/7. وانظر: فتح الباري 433/10.

(5) أخرجه النسائي عن أبي سعيد الخدري في الاستسقاء/ كراهية الاستمطار بالكوكب/ رقم (1526).

(6) الكاشف عن حقائق السنن 2998/12.

(7) مرقاة المفاتيح 2912/7.

(8) أخرجه من حديث أبي هريرة: إسحاق بن راهويه في مسنده 464/1/ رقم (541)، والطبراني في الأوسط 187/5/ رقم (5028) قال الهيثمي في مجمع الزوائد 98/10: "فيه بشر بن رافع الحارثي وهو ضعيف وقد وثّق، وبقية رجاله رجال الصحيح".

(9) فيض القدير 425/6.

وقال المناوي نفسُه في موضعٍ آخرَ[1] في شرح حديث { مُثِّلَ ابنُ آدمَ وإلى جنبِه تسعٌ وتسعون منيّة....}[2]: "وذِكْرُ العددِ المخصَّصِ على منهجِ الفرضِ والتمثيلِ فليسَ المرادُ التحديدُ بل التكثير".

وسيتَّضح لنا من خلال الأمثلةِ الكثيرةِ الآتيةِ أنَّ من العلماءِ من أجرى ذلك في أعداد أخرى؛ كالعشرةِ ومضاعفاتِها، والمئةِ ومضاعفاتِها، والألفِ ومضاعفاتِها، وغيرِها..... لذا يترجَّحُ في تلك الأعدادِ المختلفِ فيها البحثُ عن قرينةٍ أخرى ترجِّحُ حملَ العدد على معناه البلاغيِّ، وهذا ما سنعرضه في المطالب الآتية.

المطلب الثاني: السياق والمقام:

أي أن يدل سياق الكلام على أنَّ المرادَ غيرُ المعنى الحقيقيِّ للَّفظ؛ بأن يكون فيه قرينةٌ لفظيةٌ سابقةٌ عليه أو متأخرةٌ عنه[3]. وهذا كثيراً ما يستدل به على تعيينِ المعنى المراد، ومثال وقوع ذلك في الأعداد:

حديث { أُذن لي أن أُحدّث عن ملَك من ملائكة الله من حملة العرش، إنّ ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرةَ سبعمائة عام } [4] قال الإمام الطّيبيّ (ت:743هـ) وهو العلّامة في العربية والمعاني والبيان[5]: "والمراد بالسبعين في الحديث التكثير لا التحديد، لما ورد أن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، والتكثير هنا أبلغ والمقام له أدعى"[6]. إذ المقامُ مقامُ تعظيمٍ وتفخيمٍ، دلَّ عليه الكلامُ السابق.

وقال في شرحِ قولِه ﷺ: ((أنتم تُتمّون سبعين أمّة، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله تعالى))[7]: "المرادُ بالسبعين التكثير لا التحديد؛ ليُناسب إضافة الخير إلى المفرد والنكرة، لأنّه لاستغراقِ الأممِ الفائتة للحصرِ باعتبار أفرادِها، أي إذا تقصّيت أمّةً أمّةً من الأمم كنتم خيرها"[1].

---

(1) فيض القدير 516/5.

(2) أخرجه الترمذي في القدر/ باب ما جاء في القدرية/ رقم (2150) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(3) انظر: التقرير والتحبير لابن أمير الحاج 285/1.

(4) أخرجه أبو داود من حديث جابر ﷺ في السنة/ باب في الجهمية/ رقم (4727). قال ابن حجر في الفتح 665/8: "إسناده على شرط الصحيح".

(5) انظر: بغية الوعاة 522/1.

(6) الكاشف عن حقائق السنن 12/ 3624.

(7) أخرجه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده: الترمذي في تفسير القرآن/ من سورة آل عمران/ رقم (3001) وقال: حديث حسن، وابن ماجه في الزهد/ باب صفة أمة محمد ﷺ/ رقم (4288).

المطلب الثالث: إبهام آحاد العدد:

إذا كان العددُ مركّباً فإن إرادةَ المعنى الحقيقيّ له تقتضي ذكرَه مفصّلاً لإفادة معنى الحصر، أمّا إذا أُبهم جزءٌ منه فقد جعَلَ بعضُ العلماءِ ذلك قرينةً على عدمِ إرادةِ التحديدِ والحصرِ.

قال الإمام الطيبيّ في شرح ((الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة))[2]: "والأظهرُ أن يُذهب إلى معنى التكثير، ويكون ذِكْرُ البضع للترقي، يعني أنّ شُعَب الإيمان أعداد مبهمة ولا نهاية لكثرتها؛ إذ لو أُريد التحديد لم يُبهِمه"[3].

وقال الإمام المناوي في شرح حديث: ((أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة))[4]: "وقضية الخبرِ الحصرُ في هذا العدد، ويحتمل أن المرادَ المبالغةُ في الكثرة لكنَّه يبعده ذكر الاثنين مع السبعين"[5].

المطلب الرابع: اختلاف الأحاديث أو الروايات في تعيين العدد:

وذلك أن يأتي حديثان أو روايتان متعارضتان من حيثُ الظاهر في تعيين العددِ للمعدود الواردِ فيهما، فيكون ذلك قرينةً على أنَّ المراد بالعدد فيهما معناه البلاغي، أو أنَّ المرادَ به في أحدِهما معناه البلاغيّ، وفي الآخر معناه الحقيقيّ الحصري.

فمن أمثلة اختلاف الأحاديث:

حديث أبي جُهيم ﷺ مرفوعاً: ((لو يعلمُ المارُّ بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقفَ أربعين خيراً له من أن يمرَّ بين يديه))[6]، قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: "وفي ابن ماجه[7] وابن حبّان[1] من حديث أبي

(1) الكاشف عن حقائق السنن 3973/12.

(2) أخرجه البخاري في الإيمان/ باب أمور الإيمان/ رقم (9)، ومسلم في الإيمان/ باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها/ رقم (35).

(3) الكاشف عن حقائق السنن 440/1.

(4) أخرجه الترمذي في صفة الجنة/ باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة/ رقم (2562) وقال: "حديث غريب".

(5) فيض القدير 300/1.

(6) أخرجه البخاري في الصلاة/ باب إثم المار بين يدي المصلي/ رقم (488)، ومسلم في الصلاة/ باب منع المار بين يدي المصلي/ رقم (507).

(7) أخرجه في إقامة الصلاة/ باب المرور بين يدي المصلي/ رقم (946).

هريرة ﷺ: ((لكان أن يقفَ مائةَ عامٍ خيراً له من الخطوةِ التي خطاها))، وهذا يُشعِرُ بأنّ إطلاقَ الأربعينَ للمبالغة في تعظيمِ الأمرِ لا لخصوصِ عددٍ معيّن"[2].

وقال الإمام القسطلانيُّ (ت:923هـ) في شرحِ قولِه ﷺ من حديث أنس ﷺ: { حتى يكون لخمسين امرأةً القيّمُ الواحد}[3]: "هل المرادُ من قولِه: (خمسين امرأة) حقيقةُ العدد أو المجاز عن الكثرة؟ ويؤيد الثاني ما في حديث أبي موسى ﷺ { ويُرى الرجلُ الواحدُ يتبعُه أربعون امرأةً }[4]"[5].

وقال الإمامُ السندي (ت:1138هـ) في التوفيق بين حديثِ أبي سعيدٍ ﷺ: { صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذّ بخمس وعشرين درجة}[6]، وحديثِ ابنِ عمرَ ﷺ الذي وردَ فيه: { بسبع وعشرين }[7]: "والتوفيق بينهما ممكن بحملِهما أو بجعلِ أحدهما على التكثيرِ دون التحديد"[8].

ومن أمثلة اختلاف رواياتِ الحديث الواحد:

اختلاف تحديد عدد الليالي في حديثِ ابنِ عمرَ ﷺ: { ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيَّته مكتوبةٌ عندَه}[9]، قال الحافظ ابن حجر: "واختلاف الرواياتِ فيه دالٌّ على أنه للتّقريبِ لا للتحديد"[10].

وقال الحافظُ كذلك في شرحِ قولِه ﷺ في حديث الكهان: { فيخلطون معها مائة كذبة}[11]: "في رواية ابن جُريجٍ: { أكثر من مائة كذبة } وهو دالٌّ على أن ذِكْرَ المائة للمبالغةِ لا لتعيينِ العدد"[12].

---

(1) أخرجه في الصلاة/ باب ذكر الزجر عن مرور المرء معترضاً بين يدي المصلي/ رقم (2365).

(2) فتح الباري 585/1.

(3) أخرجه البخاري في العلم/ باب رفع العلم وظهور الجهل/ رقم (81)، ومسلم في العلم/ باب رفع العلم وقبضه/ رقم (2671).

(4) أخرجه البخاري في الزكاة/ باب الصدقة قبل الرد/ رقم (1348)، ومسلم في الزكاة/ باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها/ رقم (1012).

(5) إرشاد الساري 181/1.

(6) أخرجه البخاري في الأذان/ باب فضل صلاة الجماعة/ رقم (619).

(7) أخرجه البخاري في الأذان/ باب فضل صلاة الفجر في جماعة/ رقم (621)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة/ باب فضل صلاة الجماعة/ رقم (650).

(8) حاشية السندي على سنن ابن ماجه 264/1.

(9) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر في الصلح/ باب الوصايا رقم (2587)، ومسلم في أول كتاب الوصية/ رقم (1627).

(10) فتح الباري 358/5.

(11) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﷺ: في الطب/ باب الكهانة رقم (5429)، ومسلم في السلام/ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان/ رقم (2228).

(12) فتح الباري 220/10.

المطلب الخامس: مخالفةُ العددِ المذكور لواقعِ الحال:

قد تأتي بعضُ الأحاديثِ بأعدادٍ لا يمكنُ أن تتَّفِقَ مع الواقع، فيكون ذلك قرينة على إرادةِ المجازِ منها لا الحقيقةِ والحصرِ.

من ذلك ما أخرجه مسلم[1] من حديث جابرِ بنِ سمرةَ ﷺ: ((أنّ رسول الله ﷺ كان يخطب قائماً، ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائماً، فمن نبّأك أنّه كان يخطب جالساً فقد كذَبَ، فقد والله صلّيت معه أكثر من ألفَي صلاة)).

فإن هذا يتنافى مع واقع الحال، إذ إنّ النّبيّ ﷺ لم يُصلِّ طولَ مدةِ بعثته نصفَ هذا المقدارِ من صلاةِ الجمعة، فكيف يقول الصحابيُّ ذلك؟! قال الإمامُ بدر الدين العيني (ت:855هـ): "هذا محمول على المبالغة، لأنّ هذا القدرَ من الجُمَع إنّما يكمُل في نيِّفٍ وأربعين سنة، وهذا القدر لم يُصلِّه رسولُ الله ﷺ"[2]. وقال الملّا علي القاري: "أرادَ التكثير لا التحديدَ؛ لأنه ﷺ لم يُقِم بالمدينة إلا عشرَ سنين، وأوّلُ جمعةٍ صلاها هي الجمعة التي تلي قدومَه المدينة، فلم يُصلِّ ألفي جمعة بل نحو خمسمائة"[3].

وفي شرحِ حديثِ دخولِ سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم الجنّةَ، والذين وصفَهم ﷺ بقوله: ((كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكّلون))[4]، قال الكرماني (ت:786هـ): "فإن قلتَ: فهُم أكثرُ من هذا العدد! قلتُ: الله أعلم بذلك، مع احتمال أن يُراد بالسبعين التكثير"[5].

وختاماً لهذه القرائن لا بدَّ من الإشارةِ إلى أنه قد تجتمعُ في الحديث الواحدِ أكثرُ من قرينة من القرائنِ المذكورةِ ممَّا يقوِّي أكثرَ إرادةَ المعنى البلاغيِّ للعدد؛ كما في الحديث الأخير فقد اجتمعَت فيه قرينتان على إرادةِ المبالغةِ من العدد؛ وهي القرينةُ السابقة من أن المتصفين بالصفات السابقة أكثرُ من هذا العدد، أي مخالفةُ الواقع، وقرينةُ استعمال العددِ المعهود في المبالغة "سبعين"[6]. والله أعلم.

---

(1) في الجمعة/ باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة/ رقم (862).

(2) عمدة القاري 219/6.

(3) مرقاة المفاتيح 1047/3.

(4) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ﷺ: في الرقاق/ باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب/ رقم (6175)، ومسلم في الإيمان/ الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب/ رقم (220).

(5) الكواكب الدراري 45/23.

(6) انظر: مرقاة المفاتيح 1047/3.

المبحث الثاني: الدلالات البلاغية للعدد:

بعد أن ذكرنا القرائن التي أشار إليها العلماء في ترجيح حمل العدد على معناه البلاغيّ دون الحقيقيّ، لا بدَّ أن نذكرَ الدلالاتِ البلاغيَّةَ التي استُعملَ العددُ من أجلِها في النصوص النبويّة، مع الإشارةِ إلى أنَّ المعنى المشترك لهذه الدلالات إنَّما هو التمثيلُ بالعدد لإرادةِ المبالغةِ؛ المبالغةُ في التكثير أو التقليل، كما يأتي تفصيله:

المطلب الأول: التكثير:

وهو من أكثرِ الدلالاتِ البلاغيّةِ التي استُعمل العددُ من أجلِها، حتى أنَّه لا يُذكر المعنى البلاغيُّ أو المجازيُّ للعددِ وإلا وينقدح في الذهن إرادةُ التكثيرِ مباشرةً.

والأمثلةُ على ذلك كثيرةٌ جداً، منها أغلبُ الأمثلة السابق ذكرُها، ومنها قولُه ﷺ في قصّة بَريرة: ((وإن اشترطوا مائة شرط))[1]. قال القرطبي: "قوله: ((ولو كان مائة شرط)) خرج مخرج التكثير، يعني أن الشروط غير المشروعة باطلة ولو كثُرَت"[2].

والغاية من هذا التكثير تختلف باختلاف مراد المتكلم، فقد يُراد منه تأكيد الحكم كما في المثال السابق، وكما في حديث مشروعية التيمم: ((ولو لم يجد الماء إلى عشر سنين))[3]. فالمراد بالعشر هنا التكثير لا التحديد لتأكيد مشروعية التيمم[4].

وقد يُراد من التكثير المبالغة لغرض الترهيب، كما هو ظاهر في قوله ﷺ: { الربا سبعون حُوباً}[5] [6]. وفي قوله ﷺ: { لَو أنَّ حجراً مثل سبع خَلِفات أُلقي من شَفير جَهَنَّم هوى فِيهَا سبعين خَرِيفًا لَا يبلغ قعرها} [1]؛ قال الإمام المناوي في شرحه: "القَصْد بِهِ تهويل أَمر جَهَنَّم وفظاعتها وبُعد قعرها"[2].

---

(1) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﷺ: في الشروط/ باب ما يجوز من شروط المكاتب إذا رضي بالبيع على أن يعتق/ رقم (2576)، ومسلم في العتق/ باب إنما الولاء لمن أعتق/ رقم (1504).

(2) المفهم 327/4.

(3) أخرجه من حديث أبي ذر ﷺ: أبو داود في الطهارة/ باب الجنب يتيمم/ رقم (332)، والترمذي في الطهارة/ باب التيمم للجنب إذا لم يجد الماء/ رقم (124)، والنسائي في الطهارة/ الصلوات بتيمم واحد/ رقم (322).

(4) انظر فيض القدير 238/4، عون المعبود 362/1.

(5) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ في التجارات/ التغليظ في الربا/ رقم (2274). قال البوصيري في مصباح الزجاجة 34/3: "في إسناده نجيح بن عبدالرحمن متفق على تضعيفه".

(6) انظر فيض القدير 51/4.

أو يُراد منه الترغيب كما في حديث ((إنّ في الجنة مائة درجة، لو أنّ العالَمين اجتمعوا في إحداهنّ لوسعتهم))[3]، قال الإمام المناوي: "أي درجات كثيرة جداً ومنازل عالية شامخة فالمراد بالمائة التكثير لا التحديد"[4].

المطلب الثاني: التقليل:

وهذه الدلالة يقلّ التمثيل لها بالعدد مقارنة بدلالة التكثير السابقة، إذ يُراد من التمثيل بالعدد هنا المبالغة في القلة.

والأصل فيه قوله تعالى:﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [طه: 103]. قال الإمام الماوردي (ت:450هـ) : "العشر على طريق التقليل دون التحديد"[5].

أمَّا في الحديث، فقد قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث ((لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان))[6]: "ليس المراد حقيقة العدد، وإنما المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش"[7].

وقال في اختلاف تحديد عدد الليالي في حديث ابنِ عمر ﷺ: ((ما حقُّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده))[8]: "واختلاف الروايات فيه دالٌ على أنّه للتقريب لا التحديد، والمعنى: لا يمضي عليه زمانٌ وإن كان قليلاً إلا ووصيّتُه مكتوبة"[9].

---

(1) أخرجه هناد بن السري في الزهد 175/1 رقم (252)، وأبو يعلى في مسنده 138/7 رقم (4103)، من حديث يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ. قال الهيثمي (مجمع الزوائد 389/10): "فيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف، وقد وثّق، وبقية رجاله رجال الصحيح".

(2) التيسير بشرح الجامع الصغير 305/2.

(3) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في صفة الجنة/ باب ما جاء في صفة درجات الجنة/ رقم (2532) وقال: "هذا حديث غريب".

(4) فيض القدير 465/2.

(5) النكت والعيون 425/3. وانظر زاد المسير 175/3.

(6) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر ﷺ: في الأحكام/ باب الأمراء من قريش/ رقم (6721)، ومسلم في الإمارة/ باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش/ رقم (1820).

(7) فتح الباري 117/13.

(8) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر في الصلح/ باب الوصايا رقم (2587)، ومسلم في أول كتاب الوصية/ رقم (1627).

(9) فتح الباري 358/5.

هذا وقد يُراد بالتمثيل ببعض الأعداد التكثيرُ والتقليلُ باعتبار جهتين، كما في تحديد مقدار بَعْثِ النار؛ فقد جاء تقديرُه في حديث أبي سعيد الخدريّ ﷺ: ((..... من كلِّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعين))[1]، في حين في حديث أبي هريرة: ((..... من كل مائة تسعة وتسعين))[2]. وذكر الكرماني في التوفيق بينهما أنَّ المقصود من العددين واحدٌ؛ وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثيرُ عدد الكافرين؛ فلم ينظر إلى حصريّة العددين بل إلى القدرِ المشترك بينهما[3].

وكذلك حديث ((جعل الله الرحمةَ مِائة جزء))[4]، قال الكرماني: "الرحمة عبارة عن القدرة المتعلقة بإيصال الخير، والقدرة صفة واحدة، والتعلُّق غير متناه، فحصره على مائةٍ على سبيل التمثيل؛ تسهيلاً للفهم، وتقليلاً لما عندنا، وتكثيراً لمَا عنده"[5].

الخاتمة

نتائج البحث

1. الأصل عند العلماء حمل العدد على معناه الظاهري الحقيقي إلى أن تأتي قرينة صارفة إلى المعنى البلاغي.
2. مفهوم العدد عند الأصوليين وخلافُهم فيه محصورٌ بالمعنى الحقيقي الظاهري للعدد.
3. قد تتعدد القرائن التي يترجح معها المعنى البلاغي للعدد على معناه الحقيقي.
4. توصّل البحث إلى خمسة قرائنَ، استدل بها العلماء في ترجيح المعنى البلاغي للعدد على معناه الحقيقي. وهي: استعمال الأعداد المعهودة في المبالغة عند العرب، والسياق والمقام، وإبهام آحاد العدد، واختلاف الأحاديث أو الروايات في تعيين العدد، ومخالفة العدد المذكور لواقع الحال.

---

(1) أخرجه البخاري في الرقاق/ باب إن زلزلة الساعة شي عظيم/ رقم (6165)، ومسلم في الإيمان/ باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار.../ رقم (222).

(2) أخرجه البخاري في الرقاق/ باب كيف الحشر/ رقم (6164).

(3) الكواكب الدراري 38/23-39، وانظر: فتح الباري 390/11.

(4) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ: في الأدب/ باب جعل الله الرحمة مائة جزء/ رقم (5654)، ومسلم في التوبة/ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه/ رقم (2752).

(5) الكواكب الدراري 165/21.

5. اتفق العلماء على استعمال العدد (سبعة) ومشتقاته في المعنى البلاغي، واختلفوا فيما سواه من الأعداد.

6. في تحديد آحاد العدد استبعادٌ لإرادة المعنى البلاغي له.

7. من الطرق التي سلكها العلماء في الجمع بين الأحاديث أو الروايات المختلفة حملُ العدد على معناه البلاغي دون الحقيقيِّ.

8. في حمل العدد على معناه البلاغي عند تعارض ظاهرِ العدد مع واقعِ الحال دفعٌ لشبهات المشكّكين في الحديث النبوي.

9. الغالب من استعمال المعنى البلاغي للعدد إرادةُ التكثير، لكن قد يُستعمل في معنى آخر وهو إرادة التقليل.

والحمد لله ربّ العالمين

المصادر والمراجع

- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن أمير الحاج، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
- ابن حبان، محمد بن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب ابن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة/ بيروت.
- ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق عبد الغفور البلوشي، مكتبة الإيمان/ المدينة المنورة، الطبعة الأولى.
- ابن رجب، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية/ المدينة المنورة، الطبعة الأولى.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر/ بيروت.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية/ صيدا.
- الآلوسي، محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق د.مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية/دمشق، الطبعة الثانية.
- البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل أبو العباس، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية/ بيروت، الطبعة الثانية.

- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي/القاهرة، الطبعة الثانية.
- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي، المكتبة العلمية/بيروت.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، الطبعة الأولى.
- السندي، محمد بن عبدالهادي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، دار الجيل/بيروت.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية/لبنان.
- الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، دار الحرمين/ القاهرة.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن)، تحقيق ودراسة د.عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز/ مكة المكرمة – الرياض، الطبعة الأولى.
- العراقي، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، طرح التثريب في شرح التقريب، دار إحياء التراث العربي.
- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الثانية.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
- القاري، الملا علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر/ بيروت، الطبعة الأولى.
- القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم أبو العباس، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محي الدين مستو ويوسف بديوي وأحمد السيد ومحمود بزال، دار ابن كثير/ دمشق - بيروت، الطبعة الأولى.

- القسطلاني، شهاب الدين أحمد بن محمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية/ مصر، الطبعة السابعة.
- القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
- الكرماني، محمد بن يوسف بن علي، صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني (الكواكب الدراري)، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة الثانية.
- الماوردي، علي بن محمد، النكت والعيون، تحقيق السيد بن عبدالمقصود، دار الكتب العلمية/ بيروت.
- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي، التيسير شرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي/ الرياض، الطبعة الثالثة.
- المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن علي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى/ مصر.
- الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث/ دمشق، الطبعة الأولى.
- النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي = المجتبى من السنن، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية/ حلب.
- هناد بن السري، الزهد، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي/ الكويت، الطبعة الأولى.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي/ القاهرة.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/11/22.